الحوزة العلمية والنظام التبليغي

في رؤى القائد

(٢)

الحوزة العلمية والنظام التبليغي في رؤى القائد

(٢)

أسلوب التبليغ وأنماطه

من الأجدى للتبليغ ـ علاوة على المضمون الجيد والصحيح ـ أن يعرض في أنماط أو نماذج مناسبة وجذابة.

فـينبغي للـمبلّغ الديـني الالتـفات إلى أن لمخاطبيه مستوياتٍ متفاوتة فـي المعلومات والأذواق والذكاء والإيمان و...

وهذا الأمر يقتضي اعـتماد أنـماط ونـماذج تبليغية تتناسب مع مختلف الفئات التي يوجّه إليها خطابه؛ فلا يكتفي بنمط أو نموذج تبليغيّ واحد لمخاطبة المجتمع بمستوياته كافة:

يـتفاوت التـبليغ (أي التـوصيل وأدواتـه) تبعاً للظروف. فتارة نريد نقل شيء إلى الغرفة المـجاورة، وأخـرى إلى مكـان يـبعد مسـافة فرسخ، وتارة ثالثة إلى أقصى نقطة في العالم. أحياناً تعترضنا الحجب والجدران، وأحـياناً يـجب عـلينا اجـتياز العـقبات والجـبال. وقـد يستجيب المقابل طواعية لنا، وقـد نـحتاج إلى الأدلة والبراهين لإقناعه، بل قد يظلّ يقف على مسافة منا ممتنعاً عن القبول بأفكارنا.

إذن، فالتبليغ يتقوم بأقسام وأنواع متعددة تـبعاً للـظروف المـختلفة. تُـرى، مـا الذي يشخِّص أداة التوصيل وأسلوبه؟ إنه إبداعكم وذوقكم وفهمكم وسرعتكم في النقل. إذا كان المطلوب نقل مقدارٍ من المـاء مسـافة فـرسخ وحملتموه في كأس كل هـذه المسـافة بـحيث تساقط أغلبه أثناء النقل، فإن العقلاء يدهشون لعملكم، فما هكذا يـنقل المـاء؛ بـل يـحتاج إلى جرّة أو كوز.[1].

مـن غـير الصـحيح إذن التـعصب للأنـماط التـبليغية السـابقة والاقـتصار عـليها. فـفاعلية طريقة ما في العصور الماضية لا يجب أن تتحول

إلى حجاب يمنع المبلغين من التفكير في طريقة أخرى:

لا ينبغي لنا الاكتفاء بالقول: هكذا كنا نبلغ في السابق، وكانت طريقتنا في التبليغ مؤثرة. أجل، ارتقى الشيخ جعفر الشوشتري رضوان الله تعالى عليه المنبر يوماً في إحدى مدارس طهران، وخاطب الناس قائلاً: «أيها الناس! يكفي أن تعلموا أن الله موجود» فأحدث تحوّلاً في قلوب الناس بهذا المقدار من التذكرة. لقد أثر كلامه في النفوس سواء كان السبب في ذلك يعود لنفسه أو المدد الإلهي أو أجواء تلك الأيام، أو استعداد المستمعين. وإذا أردنا اليوم أن نرتقي المنبر ونقول: أيها الناس! اعلموا أن الله موجود، فإن الناس سيعجبون لعملنا[٢].

وعليه يجدر بالمبلغ أن يُعيد النظر دائماً في أنماطه ونماذجه التبليغية فيجعلها تواكب تطورات العصر وحركية الحياة الاجتماعية:

من غير المنطقي أن نطرح كلامنا الحق اليوم بذات الطرق والمناهج التي اعتمدت قبل مئة عام. بل هناك تفاوت بين اليوم وما قبل الثورة. فالمنبر الذي كان مفيداً ومؤثراً قبل الثورة ـ في الأعوام (١٩٧٦ ـ ١٩٧٨) قد لا يكون مؤثراً ومفيداً في كل مكان هذه الأيام[٣].

يتطلب التبليغ الديني وعياً لمنطق العصر ولغته. فإذا استخدم المبلّغ ـ في عرض الرسالة الإلهية ـ لغاتٍ ولهجات مستهجنة وبالية، أو اعتمد أساليب قديمة، فلا يأمل التأثير في الناس.

فالتبليغ تواصلٌ وتحاورٌ بين المبلِّغ والمخاطَب، ومعلوم أن الشرط الأول لأي تواصل وتفاهم هو الاستئناس باللغة وبأداة التواصل.

لكن المؤسف أن التبليغ الحوزويّ يتمّ أحياناً باللغة المهجورة؛ حيث يجد المخاطَب نفسه بإزاء كمٍّ كبير من الكلمات والمصطلحات الغريبة والألفاظ المعقدة التي تضبِّب له الحقائق فيضيع عليه الطريق:

عرض المرحوم المجلسي رضوان الله تعالى عليه في «حق اليقين» و«حياة القلوب» وأمثالهما، الأخلاق والعقائد الدينية بلغة عصره فيما قرّب الآخرين من الفكر الشيعي واجتذبهم إليه. ولا تظنّوا أن كتب المجلسي جاءت جزافاً، إنما رسّخت دعائم التشيع ـ في ذلك العصر الذي كان فيه التشيع جديداً في بلادنا ـ وعمّقت العقائد الشيعية في قلوب الناس. لقد كانت هذه الكتب مفيدة وقتذاك. ومع ذلك، لا نستطيع اليوم اعتماد «حق اليقين» و«حياة القلوب»، فضعوهما على الرف باعتبارهما جزءاً من التراث، وليتركز جهدنا على تقديم مضمونهما بلغة العصر[٤].

على الحوزة أن تهتم بالفن المعاصر. فالفن بكل أشكاله المسموعة والمرئية والمكتوبة يمتلك خزيناً ثميناً من التجارب تراكم عبر التاريخ، لكن الحوزة غافلة عن هذه الثورة بحيث نشهد قطيعة بين الحوزة والفن.

فللتوفر على أنماط تبليغية مناسبة، لابدّ للحوزة من تعميق الصلة بينها وبين الفن المعاصر، والكف عن اعتباره لهواً ولعباً منافياً للمروءة.

فخطاب الحوزة علاوة على بعض الاتجاهات الجديدة المتمثلة في كتابة المقالات التحقيقية وعقد دروس خاصة وغيرهما إلّا أن العارفين بالأنماط الفنية للتبليغ يعلمون جيداً أنه مازالت هناك أنماط وأساليب فنية جديدة في المناهج التي خبرتها الحوزة إضافة إلى عشرات المناهج التي لم تخبرها بعد، مع أن مكانتها لا تقلّ عن غيرها.

فيجب على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تدرك مكانة الفن، وأن تذعن إلى أن جمال العرض يضاعف من فاعلية التبليغ ويوسّع مداه:

ينبغي الاستفادة القصوى من الفن، وأعني الاستفادة من الفنانين الموجودين. فثمة استعدادات وتوجهات فنية عند الطلبة وغيرهم؛ إذ لا بديل للفن في المجال التبليغي، أي لا يملأ مكان الفن في التبليغ أي شيء سواه. وهذا أمر ثابت في العالم ويجري العمل به، فيقال: إن عرض عبارة واحدة ناهية أو آمرة من خلال أسلوب فنّي معين يجعل من شأنها الاستقرار في أعماق نفس المستمع فيستجيب لها. فاليوم يترافق التبليغ والفن... فيجب علينا إذن أن نجمع التبليغ إلى الفن[٥].

وقد مارس الجهاز التبشيري المسيحي هذه التجربة ومايزال، مستخدماً مختلف الفنون (الرواية، المسرحية، السينما، الرسم، الموسيقى) من أجل توصيل مفاهيمه ومبادئه بنحو غير مباشر. ففي ظل الإدراك الصحيح لأهمية الفن والتوظيف المطلوب له حقّقت المسيحية راهناً حضوراً ملموساً على الساحة العالمية، حتى استطاعت أن تجد في البلدان الإسلامية أفراداً يستجيبون لها دون قصد:

لستُ من الذين يقارنون كل ما يطرح عندنا مع الأجانب، وأوجّه الانتقادات إلى جانبنا. فأنا أعتزّ بالحقائق الموجودة في مجتمعنا...، لكن ثمة أمور تجري أمام أعيننا في هذا العالم...

ليس للكنيسة علم ديني بتلك الصورة المعمقة والاستدلالية، لكنها في الوقت نفسه متقدمة في الجانب التبليغي. لقد أنتجوا أفلاماً كثيرة في إطار الدعاية للمسيحية دون أن يُظهروا ذلك. حتى إن أصدقاءنا في التلفزيون وفي أيام كانون الثاني وأعياد الميلاد، يعرضون عدداً من الأفلام المسيحية والكنسية مجاملة للمسيحيين. وقد لاحظتُ أن أغلبها يروّج للكنيسة... فمن يشاهد الفليم يتأثر به، إذ يعرض قسيساً بوجه نوراني وهو يقوم بعمل إيجابي[٦].

ومن الطبيعي أن توثيق الارتباط بين «الحوزة» و«الفن» لا يتم بين ليلة وضحاها، فهو يحتاج إلى وقت وإلى تخطيط دقيق.

بوسع المؤسسة التبليغية للحوزة وعبر التخطيط المناسب أن تصوغ سبل الارتباط، وتعزّز حضور «الفن» في الحوزة، فتكتشف الذوق الفني لدى الحوزويين، وتهيئ لهم الأرضية الخصبة للإبداع والارتقاء الفني، وتدعم الطلبة الفنانين مادياً ومعنوياً، وتذعن إلى أن الفنون من وسائل التبليغ الديني، فتعمل على صياغة طرق الاستفادة منها في منظوماتها التبليغية:

لا تنجز هذه الأعمال بين ليلة وضحاها. فإذا بدأتم اليوم بالعمل في هذه المجالات وقمتم بإنتاج البرامج الصوتية والتصويرية ـ وبخاصة التصويرية ـ فربما تتوافر للحوزة هذه المقدرة بعد عشر سنوات، لكننا نفتقدها حالياً، ولا نستفيد من الفن[٧].

المجتمع المخاطَب

يجب على المبلغ أن يتوفر على معرفة صحيحة بمخاطَبه، ثم يوجّه خطابه إليه، فيقيم ارتباطاً بين المخاطَب والمضمون ونمط التبليغ.

ومن المؤسف أن نقائص ومعايب كثيرة تحيط بهذا المضمار أيضاً، حيث لا تعتبر مراعاة مستوى المخاطَب شرطاً جاداً للتبليغ. فالمبلغ يعرض ما يعلمه في قالب معيّن اعتاد عليه ولا صلة له بطبيعة المخاطَب. فهو يتحدث مع جماعة مجهولة لديه، وبموضوعات جاهزة سلفاً.

فيجب أن يكون لدى النظام التبليغي للحوزة معلومات واضحة عن خصائص المناطق والبيئات والمجتمعات المفترض مخاطَبتها لتعين المبلغ في وظيفته:

لاتوجد مواد تبليغية ـ مثل تصنيف البحوث وتشخيصها لكل فئة من المستمعين ـ. فعلى سبيل المثال إذا أردتم التوجه إلى بلد معيّن ستستفيدون من مطالب معيّنة لا تنفعكم في بلد آخر. وهكذا فإن ما تحتاجون إليه في القرية يختلف عمّا تحتاجون إليه في المدينة الكبيرة. وفي طهران والجامعة والبيئة الطلابية تتباين المقتضيات عن مجلس تعزية نسائي. إن هذا التصنيف غير موجود في الحوزة[٨].

إن عدم معرفة المجتمع المخاطَب، يُبعِد المبلّغ عن هدفه، بل يعرضه أيضاً ـ في بعض الأحيان ـ لمطبات خطيرة تفضي إلى العكس مما يتوخّاه من التبليغ. وبناء على هذا يجدر بالمبلغ أن يعرف المجتمع الذي يتحرك وسطه، ثم يضبط حركيته وينظمها وفق هذه المعرفة:

أحياناً يتمتع الطلبة بخلفيات ذهنية وعقلية جيدة جداً، لكن عدم معرفتهم بالمجتمع وتطلّعاته وما يحمله (المجتمع) من تصور عن المبلّغ، يوقعهم في ممارسات تخالف المطلوب. فمن الضروري إعطاء دروس حول تصورات الناس عن المبلِّغ وتوقعاتهم منه. فيتعين على الطالب «الحوزوي» أن يعرف قدر نفسه وقدر المبلغ كما هو ـ لا أكثر ولا أقل ـ[٩].

ويفترض بالمبلغين أن يعلموا أن المجتمع في حالة تغيّر مستمر، فلا يعيدوا لجامعيي اليوم حديثهم الذي حدثوا به الجامعيين قبل عشرة أعوام، ولا يتصوروا شاب اليوم كشاب أوائل الثورة، فبيئة المدينة والقرية في تغيّر دائم:

يتعين على إمام الجمعة ـ في مدينة ما ـ أن يطوِّر مستوى خطبه على الدوام. فالمطلوب أن نعرض للناس خطباً جديدة وحيوية. فإن ما أوصل الناس إلى مستوى تحمّل «أمانة» الثورة الإسلامية هو الخطاب الديني المتجدد والفهم الصحيح والجديد للإسلام الذي بيّن للناس الجوانب المجهولة من الإسلام ـ وهي

الأمور التي لم توضّح للناس على مدى عصور متمادية ـ واليوم تجلّى ذلك الخطاب بحقائقه العينية والخارجية. ولديمومة هذه الحركة ومواكبة التطور يجب الاستمرار في ترشيد الناس وتصعيدهم فكرياً[١٠].

وعلى المبلغ أن لا يخلط بين معرفة المخاطَب والانسياق مع الأجواء السائدة، فلابدّ أن يتحاشى الاستجابة لأهواء المخاطَبين ورغباتهم. على المبلغ أن لا يغفل عن مبادئه وقيمه ومنطلقاته ويوقعها في أسر الأهواء. وبعبارة أخرى: يتعيّن على المبلّغ أن يدرك أذواق واتجاهات المخاطَبين ويأخذها بنظر الاعتبار، دون أن يعني ذلك وضع الدين في سجن النوازع الآنية:

الشباب يتّسمون بالإخلاص والإيمان والظرافة، فعلينا أن نحافظ على صفائهم وإيمانهم، وهذا لا يعني أن نقبل منهم ما ليس داخلاً ضمن تخصصهم. وللأسف نشهد هذه الأمور في بعض الحالات، وهذا مؤشر على تأثر بعض المبلغين بالجوّ السائد، فهم يردّدون ما يمليه ـ الجو ـ عليهم، حتى إنهم يحسّون أحياناً بذلك. وهذا بلاء عظيم. فمن غير الصحيح أن يؤثر الجو المتأثر بفكر ما أو عقيدة ما أو انطباع ما، على أذهانكم وانطباعاتكم...

إن الإعراض والرفض والجفاء أمور غير صحيحة، ولا نوافق عليها، ولكننا لا نوافق أيضاً على أن يبدي أحد العلماء رأياً لا ينسجم مع تشخيصه ومبناه الفقهي وفتاويه أو فتوى مقلّده، أو يتعارض مع مسلّماته، وهذا ذنب لا يرضى به الله ولن يعفوَ عنه بالتأكيد[١١].

وينبغي للمبلّغ أن يرى في التحرك بشهامة وشجاعة تكليفاً شرعياً ـ إنسانياً، فلا ينكفئ وينعزل، بل يتحرك في وسط المجتمع ويعرض أفكاره بوضوح وجرأة، ولا يجعل خطابه أسيراً لأحاسيس المخاطَب الآنية، بل يجعل مشروعية خطابه وفائدته للمخاطب أصلاً في عمله، ولا يتخذ الضجيج الذي قد يثار حوله والمشاكل التي قد تعترض معياراً لحركته، فمثله مثل الطبيب الحاذق الذي يصف الدواء المرّ وإن لم يستمرئه المريض:

يجدر بالكاتب أن يطرح الموضوع من خلال نظرة عميقة وبعيدة المدى، وبشجاعة تامة، أي بعيداً عن أي مهادنة للجامعيين وغيرهم. وبعبارة ثانية، يجب أن لا أتأثر في كتابتي للموضوع بالأحكام التي أتوقع أن يصدرها القارئ ضدّي، بل يجب أن أكتب الحقائق بشجاعة.

فالموقف الشجاع يعود بالفائدة على صاحبه. وقد شاهدنا إبان السنوات العشر الفائتة أفراداً لم يتخذوا مواقف شجاعة، خشية أن يستاء طرف معيّن منهم، أو لأن طرفاً ما ينتظر ذلك، فهؤلاء ينطلقون من خلفيات خاصة، وهذا الأمر يعود عليهم بالضرر... على أنه لا ينبغي إغفال بُعد النظر، فعلى المرء أن يتمتع بسعة الصدر وببعد النظر وعليه أن يجمع إلى سعة الصدر، الشجاعة والصراحة والثبات[١٢].

ولقد جسّد الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه النموذج الأروع في الجمع بين معرفة المخاطب وعدم التأثر بالجوّ السائد. وهو ما تجلّى فيه قبل انتصار الثورة الإسلامية وبعده. فبالرغم من اهتمامه بمخاطبه وصياغة محتوى خطابه ومستواه بما يتناسب مع المخاطَب، لكنه لم يتأثر يوماً بالأجواء السائدة، فلم تمنعه أفكار وأهواء هذا الطرف أو ذاك عن القيام بتكليفه، فثبت واستقام على منهجه المستقيم طارحاً بصراحة تامة رؤاه وأفكاره الأصيلة، قبل الثورة وبعدها، دون أي مهادنة.

وقد أشار سماحة قائد الثورة مراراً إلى هذه الخصلة الممتازة التي تميز بها سماحة الإمام رضوان الله تعالى عليه.. ومن ذلك قوله:

عاد الإمام إلى إيران في وقت كانت أجواء الصراع ـ في بعض المستويات في الأقل ـ مشحونة بالتصورات المستوردة وكان بعض العلماء قد شارك في تصعيدها. وجاء الإمام فأقصاها جميعها. وقد تجسد موقفه في أول خطاب له في المطار. حيث انتابتني الحيرة عندما كان يلقي خطابه وقلت لنفسي: عجباً! لا يتأثر الإمام بالملاحظات التي نتأثر بها... وفي الأشهر الأولى طرح بشكل قاطع مسألة السفور والحجاب[١٣].

المؤسسة التبليغية

تجد الحوزة نفسها اليوم إزاء كمّ كبير من الاحتياجات المتزايدة في المجال التبليغي، وهو ما يستدعي منها موقفاً جاداً ومنظماً:

إن انحسار النشر والتبليغ أحد المشاكل التي تعاني منها الحوزة؛ إذ لا تصدّر الحوزة ذلك المقدار الكافي من الكتب والصحف والمجلّات، ولا ترسل العدد الكافي من المبلغين، فثمة طلب دائم إلينا من أنحاء العالم كافّة (إفريقيا وأوروبا وآسيا) أن نرسل إليهم العلماء[١٤].

وعلاوة على هذه الحاجة الكبيرة، أمست الممارسة التبليغية مدعاة لعمليات معقدة ودقيقة زادت من صعوبة الأمر وأكدت ضرورة اتخاذ موقف رزين ومدروس بهذا الخصوص. وهنا نلفت إلى أهمية المسائل الآتية:

١ ـ ضرورة التنظيم

يفتقد التبليغ الحوزوي للعمل التنظيمي، حيث يتم في الأغلب بنحو تلقائي وفردي ومزاجي. وعليه فإن الخطوة الأولى اللازمة لحل المعضلات تتمثل في إيجاد مؤسسة تبليغية في الحوزة، قادرة على تنظيم القوى والاحتفاظ بها:

يتعين علينا القيام بعملين؛ أحدهما: تنظيم التبليغ بأفضل نحو. فبالتنظيم نستفيد من القوى ـ مهما صغُرت ـ في موردها المناسب. فكما أنكم تارة تنقلون المياه من مكان إلى آخر بوعاء، وتارة أخرى عبر الأنابيب، وتلاحظون أنكم في الحالة الثانية لا تهدرون قطرة واحدة من الماء. وهكذا العمل المنظم لا يهدر الطاقات. إن تنظيم التبليغ يمنع من هدر أي طاقة، كالماء الذي لا يُبخّر ولا يترسّب في الطين ولا يتبدّد في غير موضع الحاجة إليه.

فأحياناً تذهب كميات كبيرة من المياه سُدىً أثناء سقي إحدى الحدائق، وهذا يعني أن الماء الضروري للحياة قد دمّر الحديقة وحوّلها إلى أرض موحلة. وفي بعض الحالات يكون تبليغنا مشابهاً لهذا المثال. أي إن كانت هناك حاجة لمبلّغ في منطقة ما، فإننا نرسل ثلاثة أضعاف العدد المطلوب من المبلغين، فتكون النتيجة مناقضة للهدف التبليغي! إن التنظيم يحول دون هذه السلبيات[١٥].

٢ ـ التنظيم المناسب

لابدّ للمؤسسة التبليغية في الحوزة أن تواكب الاحتياجات وتستجيب لها. فشدة التطلع والحاجة إلى العمل التبليغي وتعدد مستويات المخاطبين، تستدعي وسائل تبليغية متعددة، إضافة إلى عشرات المسائل الأخرى التي يفترض بالمؤسسة التبليغية أن توفرها وتعتمدها فيما يحقق لها أهدافها.

وهذا الأمر يستلزم تشكيل مؤسسة تبليغية تتمتع بإدارة مقتدرة وكوادر متمرّسة وآليات عمل فاعلة، وفي غير هذه الصورة فإن هذه المؤسسة تغدو عبئاً يثقل كاهل الحوزة ومشكلة أخرى تضاف إلى مشاكلها:

لو لا التنظيم، ولولا تحرك الأشخاص [الذين يريدون أن يتحدثوا] في إطار عمل منظم، لما وجدنا لهذا الجهد العظيم أثراً. لقد كان هذا العمل المنظم يتم قبل انتصار الثورة بشكل بسيط فيما لم يكن مجال عملنا وسيعاً. تُرى كم نستطيع أن نعمل؟ ما الذي يمكّن شخصاً واحداً من مدّ نفوذه إلى مساحة واسعة من المجتمع؟... اليوم أصبحنا محطّ تطلّع نظام ومجتمع وبلد وحكومة... إذا كان الأمر كذلك، فيجب أن يكون لدينا عمل منظم قوي وواسع[١٦].

٣ ـ الحركة ذات المضمون

لا ينبغي للمؤسسة التبليغية أن تحبس نفسها في الأعمال الصورية، ولا أن تكتفي بأطر تنظيمية شكلية، بل عليها أن تثري خطابها الحوزوي وتعزز تماسكه وتبعده عن التكرار، وتجسّر الصلة بينه وبين البيئة الاجتماعية التي يمتد فيها. فإن البناءات التنظيمية الشكلية لا تعدّ دليلاً على أن للحوزة خطاباً تبليغياً متماسكاً وفاعلاً:

في تصوّري إن للنظم التبليغي خصائص معيّنة تمنحه الفاعلية، فإذا افتقر النظم للمضمون ولم يتعدّ كونه حركة صورية فإنه يفتقد للفاعلية. فالنظم لا تترتب عليه فوائد حقيقية وأساسية إلّا إذا اغتنت الحركة بمضمونها.

في الحركة الشكلية تشخّصون هويّة المرسَل والمنطقة التي سيُرسل إليها وتاريخ الإرسال، وهكذا تحدّدون الناشر والكاتب. إنه عمل شكلي يتمثل في استخدام القوى المتوافرة بطريقة منظمة، وهذا هو النظم؛ وهو جيد جداً ومفيد. لكن لن يحصل لكم الاطمئنان الكامل بفاعلية حركتكم إلّا إذا أغنيتم النظم بالمضمون[١٧].

٤ ـ تأهيل المبلغ

يجب على المؤسسة التبليغية في الحوزة أن تهتم بإعداد المبلّغ بصفته ضرورة من ضرورات برامجها الأساسية. فالتبليغ بات عملية معقدة تستدعي تأهيلاً خاصاً:

ثَمّ عيب أساس في التبليغ الحوزوي، يتجلّى في انفصال التبليغ عن الحوزة. بالطبع تضطر بعض الدوافع والحاجات عدداً من الحوزويين إلى التبليغ في فصل الصيف أو في أيام شهري محرّم ورمضان، لكن الحوزة تفتقر إلى درس في التبليغ. فالتبليغ عمل وفن وعلم، فلابدّ من تدريسه. فقد يعتزم أحدهم التصريح بأمر معين، فإذا به يُطلق تصريحات تتناقض وما عزم عليه. وكثيراً ما حدث أن امرءاً تحدث بأمور استنتج منها السامع نقيض ما كان يريده المتحدث من حديثه. أو ـ على سبيل المثال ـ يتوجه المرء إلى التبليغ دون أدنى معرفة له بعلم النفس الإعلامي، فيخاطب الناس بغير لسانهم. حيث يتكلم في القرية بما كان يجب التكلم به في الجامعة، ويتناول في القرية مسائل جديرة بالتطرق إليها في المعمل. وبناءً على هذا اعتبرنا الحوزة تفتقد لمنهجية علمية في التبليغ مثل علم النفس الاجتماعي[١٨].

إن تحقيق ذلك، يمكن أن يتم بصورتين:

أ: إقامة دورات قصيرة

يتعين على المؤسسة التبليغية في الحوزة إيجاد الاستعدادات الأولية والعامة للمبلغين عبر دورات قصيرة يطّلعون خلالها على المسائل الضرورية في التبليغ:

إحدى المعاونيات، معاونية التبليغ والطاقات البشرية ويقتصر عمل هذه المعاونية على تأهيل المبلغ للعمل في داخل البلد وخارجه، وأيضاً تأمين مبلّغين دائميين وموسميّين لمختلف مناطق البلد. وهذا يقتضي دورات قصيرة وصفوفاً خاصة[١٩].

ب: تأسيس قسم خاص بالتبليغ

يجب على الحوزة طي طريق آخر إلى جوار الطريق الأول (الأكثر عمومية)، وذلك من خلال تأسيس قسم للتبليغ وتخصيص جزء من إمكاناتها له.

ومن شأن ذلك أن يفضي إلى تخريج متخصصين في المجال التبليغي قادرين على تحقيق الأهداف التبليغية المرجوّة، خلافاً للوضع الحالي الذي يدفع بالعناصر الحوزوية الفاشلة إلى امتهان التبليغ:

تاسعاً: التقسيم التدريجي للطلاب وفق الأهداف... ويتم اختيار خمسة آلاف شخص كمبلغين وخطباء وكتاب وعلماء، وثلاثة آلاف آخرين للتبليغ في خارج البلد[٢٠].

٥ ـ الجدول الزمني

بعد تحديد الأهداف والاتجاهات، يتعين على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تضع جدولاً زمنياً ترصد فيه الفترة المخصصة لتحقيق كل هدف.

وتترتب منافع مختلفة على الجدول الزمني المذكور، فهو من جهة يسرع الحركة ويمنع التلكؤ والمماطلة. ومن جهة ثانية يشخص الفضاءات الزمنية لتفاصيل العمل ويتيح رؤية واضحة لمستقبله علاوة على إيجاد الأرضية الملائمة لتقويم العمل ونقده:

ليكون عملنا محكماً. لابدّ من تقسيم الهدف وفق مراحل زمنية، بمعنى التخطيط للوصول إلى هدف معين خلال خمسة عشر عاماً، مثلاً، وعليه ننجز كل عام ـ من الأعوام الخمسة عشر ـ جزءاً من العمل بما يتناسب مع ذلك الهدف. في مثل هذه الحال نغدو قادرين على مراجعة أعمالنا في كل عام، لنرى أي الأعمال أُنجزت وأيها لم يُنجز... هل بلغنا المطلوب منّا وجاوزناه أم لم نصله بعد؟[٢١].

٦ ـ تحديد الموضوعات التبليغية المهمة

يجب على المؤسسة التبليغية في الحوزة أن تشخّص الموضوعات الزمانية المهمة، من خلال الدراسة والاستقراء، وتضعها بين يدي المبلغين.

فمما لا ريب فيه أن مساعي المبلّغ الفردية تظلّ عاجزة ـ مهما كانت واسعة وشاملة ـ عن إدراك الموضوعات الضرورية والفورية بكل أبعادها. وهنا يأتي دور المؤسسة التبليغية لتعالج هذا العجز:

عندما كنّا نبذل مساعي حثيثة في صلب العمل التبليغي، واجهتنا مسائل وقتذاك، لا وجود لها راهناً. كان علينا أن نعي الاشتراكية العلمية والمادية التاريخية ثم نرد على تساؤلاتها. وهذا معلوم لانشغال أغلب شبابنا وجامعيينا وبعض التجار وغيرهم بتلك الأمور. لكن لا وجود حالياً لتلك المسائل، ففي الوقت الحاضر تطرح مسائل أخرى.

هل تريدون تجاهل هذه المسائل؟ هل ترغبون في حدوث فراغ في أذهان فتياتنا ونسائنا وأبنائنا ورجالنا، ثم يأتي العدو ليملأه بالشكل الذي يرتئيه؟ إن لم تكونوا راغبين في ذلك، فالجدير بكم أن تعرفوا ماهية هذا الفراغ، وهنا تتجلّى ضرورة إيجاد أجهزة تفكر بهذا الأمر...

على العلماء أن يشكّلوا فريقاً يأخذ على عاتقه مسؤولية البحث عن الموضوعات المهمة ليقدمها للمبلغين، وهو ما تقوم به المسيحية هذه الأيام. فإذا أرادوا إرسال مبشّر إلى منطقة معيّنة من العالم، ينعقد مجلس كنسي رفيع المستوى لدراسة الخطط والسبل اللازمة للنفوذ في أهالي تلك المنطقة، ثم يقدمون نتائج دراستهم للمبلغ[٢٢].

٧ ـ تقويم التبليغ

يتعين على المؤسسة التبليغية للحوزة أن تقوم برامجها التبليغية وفق منهجية علمية وإحصائية، تطالع بدقّةٍ نقاط القوة والضعف التي تكتنفها. وعلى المؤسسة التبليغية أن تقارن من خلال الإحصاءات والأرقام بين نتاجاتها في السنوات المختلفة وتدرس العلاقة بين ذلك والموازنة المخصصة لكل عام...

إن هذه الأرقام التي أشاروا إليها، أرقام

جيدة، مع أنه لا يمكن معرفة مدلولاتها إذا ذكرت مجردة، فينبغي ذكر الإمكانات والاحتياجات وأرقام السنوات الفائتة، ليصبح بالإمكان التوفر على معرفة دقيقة بمدلولاتها[٢٣].

وإلى جانب النظرة الكمية هذه، هناك ضرورة لدراسة علمية ـ إحصائية:

والأرقام الأخرى التي يجب أخذها في الاعتبار، هي الأرقام المتعلقة بمستوى التبليغ. فأعداد المبلغين والكتب والصفوف تعكس أرقاماً كمية. وفوق هذه الأرقام نسأل عن مدى تقدمنا في التبليغ، وعن هدف التبليغ والمقدار الذي تحقق منه، وهذه الأسئلة هي المهمة[٢٤].

أما المسألة الأخرى فهي ضبط الأرقام وتقويمها. فيجدر بمسؤولي التبليغ اعتماد طرق موضوعية وسليمة لتقويم برامجهم:

أرغب في إثارة مسألة معيّنة مع الشيخ التسخيري والسادة الآخرين. وهي أني لاحظت عبر تجربتي أنه في بعض الأحيان يؤكد نحو مئة وخمسين أو مئتي شخص أنهم نشروا هذا المقدار من الكتب. هنا لا ينبغي لكم أن تكتفوا بهذه الأرقام فقط بل عليكم أن تلاحظوا أولاً: هل تم انتقاؤها بشكل جيد، وثانياً: هل تتميز بجودة الطباعة، وثالثاً: هل ترجمت بدقة، ورابعاً: هل أرسلت في الوقت المناسب، وخامساً: هل وصلت إلى العنوان المطلوب، وسادساً: هل عمد الشخص إلى مطالعتها؟

فمن الضروري توضيح الإجابات عن هذه الأسئلة. وإلّا يمكننا إرسال الكتب إلى المكتبة ليتم تخزينها فيها، أو إلى إحدى السفارات أو الملحقيات الثقافية لتبقى هناك[٢٥].

التبليغ التقليدي

يجب على الحوزة أن لا تتجاهل التبليغ التقليدي ـ أي الخطابة والمنبر ـ بصفته موقعاً متميزاً وممتازاً في العملية التبليغية. فالحديث عن أدوات التبليغ الفاعل وطرقه لا يعني التنكر لدور المنبر والخطابة أو تجاهله، لأن المنبر والخطابة يمثلان منهجاً مفيداً وفاعلاً يتطابق مع السنة والنمط التاريخي للتبليغ الحوزوي، من هنا يجب المحافظة عليه وتقويته وتطويره:

يجب أن يظل «المنبر» محافظاً على صورته التقليدية والصحيحة. ولا نعني بالتقليدية أن تبقى جميع خصائصه مشابهة لخصائص المنبر في الماضي، فلابدّ من تغيير الموضوعات. لكن ليبقى المنبر كما خبرناه جيداً خلال ألف عام أو في الأقل خلال القرون الثلاثة أو الأربعة الأخيرة[٢٦].

ولابدّ من القيام بدراسة تفصيلية للمؤسسة الخطابية والمنبرية في الحوزات الشيعية، فلهذه المؤسسة دور مهم في تاريخ بلدنا في الأصعدة الثقافية والسياسية والاقتصادية وغيرها. فالمبلغون والوعّاظ يسجّلون في مواسم التبليغ وغيرها حضوراً فاعلاً في جميع مناطق البلد، فيقيمون ـ من خلال الوعظ والخطابة ـ ارتباطاً وثيقاً مع الناس.

ولقد كان الوعظ والخطابة ـ ومازالا ـ أهم وسيلة اتصال دينية في بلدنا. وقد حصل هذا التأثير الشامل والعميق ببركة الدم الطاهر لسيد الشهداء سلام‌الله‌عليه. فعظم المصاب أتاح للعالم الشيعي موقفاً متميزاً للتماس مع الجماهير؛ كونه يستطيع متى وأينما شاء في إيران أن يرتقي المنبر ويذكّر الناس بمصيبة سيد الشهداء عليه‌السلام.

من هنا صار لعلماء الشيعة امتداد شعبي واسع وممتاز. فرجال الدين المسيحي لا تسنح لهم الفرصة لمقابلة الناس ووعظهم إلّا في أيام الأحد وبعض الأيام الأخرى خلال السنة. وعلماء الدين السنّة لا يخطبون في الناس ويعظونهم إلّا في صلاة الجمعة وفي بعض الأماكن الدينية الخاصة؛ في حين يظل باب الوعظ والخطابة مفتوحاً أمام العالم الشيعي في كل محلة وزقاق وفي كل بيت ومسجد وفي كل مدينة وقرية وفي الليل والنهار. ولهذه الحقيقة تأثيرات اجتماعية وثقافية لا يتسع مجالنا لتفصيلها، لكننا ألمحنا فقط إلى هذه الميزة التي أتيحت لعلماء الشيعة بفضل دماء الشهداء:

لم تجر حتى الآن دراسة تأثيرات المنبر في مجتمعنا. لاحظوا مجتمعنا، وأمعنوا فيه النظر، هل تجدون مكاناً ـ سواءً في المدن الكبيرة والمناطق المكتظة بالسكان أو في القرى النائية والصغيرة ـ ليس فيه منبر باسم أبي عبدالله؟ فكل مجتمعنا (بانتمائه الشيعي) يعيش في كنف الإمام الحسين عليه‌السلام[٢٧].

وليس بإمكان أي وسيلة إعلامية أن تحلّ محلّ المنبر والخطابة بثراء محتواه وجمالية الصوت والرقة في أداء المصيبة والشعر المتجدد أبد الدهور، والمتدفق بزخم جرح الحسين عليه‌السلام. كل هذه العوامل ـ وغيرها ـ تمنح المنبر خصوصية تزيد من دوره الثقافي والاجتماعي والسياسي على مرّ الأيام، من دون أن يكون ثمة مسوغ للخوف عليه من تطور وسائل الإعلام المعاصرة، وتعقد تقنياتها.

فالمنبر يشكل أداة توصيلية عظيمة التأثير في ممارسة التبليغ وسائر المهام الاجتماعية. وواحدة من أبرز مزاياه أن الخطيب ينهض بدوره من خلال الصوت الإنساني ويباشر الجمهور وجهاً لوجه. ولا يقتصر حضور الخطيب على إلقاء الخطب، بل يمتد إلى مشاركته في المحافل الدينية وتقديمه الإيضاحات على الاستفهامات الدينية والإشكاليات الأخلاقية، بل المسائل الاجتماعية والسياسية والأسرية أيضاً. ولا تقل أحياناً هذه الوظيفة الجانبية للخطيب عن دوره الأساس فيما تترتب عليها من تأثيرات في الحياة الثقافية والاجتماعية للناس. ومازالت الخطابة قناة رئيسة للتواصل بين العلماء والناس حيث يعيشون عبرهما آمال الناس وآلامهم ويساعدونهم على حلّ مشاكلهم.

نخلص إلى التنبيه إلى عدم تجاهل وإغفال الوعظ والخطابة بصفتهما من الوسائل التبليغية المهمة. كما أن الأنماط التبليغية المستجدة ـ كما أشرنا في الموضوع المندرج تحت عنوان أسلوب التبليغ وأنماطه ـ لا تعني أن الطريقة التقليدية في التبليغ باتت بلا معنى وانعدم دورها. جاء في نص لسماحة قائد الثورة عن أهمية الخطابة والمنبر ودورهما:

صحيح ـ ولله الحمد ـ أن الإذاعة والتلفزيون يبثان خطابات عديدة للعلماء ـ سواء في العاصمة أو في المدن الأخرى ـ تحت عناوين مختلفة كصلاة الجمعة أو بعض المناسبات الأخرى علاوة على الدروس والبحوث، إلّا أنّ أيّاً منها لا يشكّل بديلاً لحركية العالم التي يباشر من خلالها الناس وجهاً لوجه.

إن الناس على فئات متعددةٍ موزَّعةً في مختلف مناطق المدن والقرى. فينبغي أن يكون لكل فئة عددٌ كافٍ من العلماء يعيشون في أوساطها ويسعون إلى حلّ مشكلاتها الدينية. إذن وبالرغم من ضرورة أمور أخرى، إلّا أنه لا شيء يكون بديلاً عن هذا الأمر؛ حتى الكتاب لا يمكنه ذلك. هذا هو الشيء الذي يمتلكه مجتمعنا الإيراني والديني. ونادراً ما نجد مثله في البلدان الأخرى، حتى في العراق مثلاً (إذا قلنا بأنه يحمل سمات المجتمع الشيعي)، لم يكن الأمر بهذه الصورة. فهذا يتعلّق بمجتمعنا حيث العلماء في مختلف المستويات وفي المدن والمحلّات والقرى المختلفة وفي أوساط العشائر، يباشرون الناس وجهاً لوجه، ويحادثونهم مباشرة، ويتعاملون معهم. ويستمعون لشكاويهم، ويوضحون لهم الشبهات التي ترتسم في أذهانهم ويحلّون مشكلاتهم النفسية.

فيجب علينا تدعيم وترسيخ هذه الممارسات التي صدرت عن علمائنا في الماضي، ولا نسمح بزوالها. وأحسب أننا نعاني من نقص في هذا الصعيد[٢٨].

مَواسم التبليغ

تتوافر ظروف مناسبة للتواصل بين المبلغين والمجتمع، ونشر الثقافة الدينية في البلاد، في أشهر رمضان ومحرّم وصفر.

فلابدّ للمبلغين والمؤسسة العلمائية من السعي إلى تفعيل التبليغ في هذه الأيام، والحيلولة دون تهميش الممارسة التبليغية في هذه الأشهر المباركة. وقد شدد سماحة قائد الثورة منذ البداية على ضرورة المحافظة على هذه السُّنَّة، منبهاً إلى نعمها على الدين والعلماء والثورة، وهو ما نقرأه في النص الآتي:

في إحدى زياراتي لمشهد بعد ـ انتصار ـ الثورة دعوت الإخوة الأعضاء في لجنة «الثورة الإسلامية» إلى اجتماع حذّرتهم فيه ـ بصفتهم مسؤولين منشغلين بإدارة أمور الناس ـ من إغفال عمل كانوا يواظبون عليه دائماً. ففي شهور رمضان المبارك ومحرّم وصفر كان طلاب العلوم الدينية يتوجهون إلى أنحاء البلاد كافّة ليبلّغوا الناس نداء الثورة ومنطق الحق والثقافة الإسلامية[٢٩].

لم تؤثر مواسم التبليغ في تفعيل الإرشاد الديني في المجتمع فحسب، بل قامت أيضاً بدور مهم وواضح في الحركات الاجتماعية ـ السياسية في القرون الأخيرة في بلادنا. فنلاحظ أن أيام التبليغ الخاصة مثّلت ذروة الوقائع التي انطوت عليها النهضات منذ المشروطة وحتى الخامس

عشر من خرداد. فقد عمد المبلغون في تلك الأيام التي تشهد تجمعات دينية، إلى عرض نداء الحق وفضح الحكومات الجائرة، والإشادة بحكومة العدل. ولاشك في أن الدراسة المتعمقة في النهضات التي انطلقت في القرن الأخير تنطوي على مسائل قيِّمة ودروس بليغة ودلائل على أن لأشهر التبليغ النصيبَ الأوفر في تكوين النهضات وبسطها. وقد تجلّى هذا الدور التاريخي في نهضة الإمام رضوان‌الله‌تعالى‌عليه منذ بدايتها حتى الانتصار في الثاني والعشرين من شهر بهمن، أكثر من غيرها. ويتابع سماحة قائد الثورة كلامه في النص السابق بقوله:

عندما أطلق الإمام تصريحاته في عامي [٧٧ و ١٩٧٨] ودعا الناس إلى الثورة الشاملة، لم تبق مدينة ولا قرية في كل البلاد إلّا ولبّت نداءه. وهنا يطرح السؤال: كيف استجابت لنداء الإمام القرى والمدن النائية ـ التي ربما لم يسمع بعضها آنذاك باسم الإمام، أو لم تكن لديه معلومات واضحة عنه، ومن ثم لا يمكنه إدراك نداءاته ـ؟ اعلموا أن السر يكمن في وجودكم... فكل فرد منكم توجّه وبكل تواضع إلى نقطة من نقاط البلاد أو قرية منها ـ لا يزيد أحياناً عدد أسرها عن الخمسين أو الستين ـ وعايش الناس على الطبيعة لمدّة عشرة أيام أو عشرين يوماً أو شهراً، وتحدث إليهم مباشرة... فتهيأت أذهان الناس في البلاد كافّة ببركة هذه العمامة التي يلبسها الشباب المتواضعون القنوعون الذين يبلّغون العلوم الإسلامية[٣٠].

بلغت الثورة أوجها في شهري رمضان ومحرّم لعامَي ٧٧ و ١٩٧٨، فبسبب المواقف التحريضية للمبلّغين في المساجد والحسينيات في المدن والقرى، وعملياتهم في فضح جرائم النظام وتوضيحهم ماهية الثورة الإلهية التي أطلقها الإمام رضوان‌الله‌تعالى‌عليه اشتد عود الثورة واخضر زرعها حتى آتت أُكلها.

لقد كانت الأجواء والأحوال تتغير في أيام التبليغ في شهر محرّم وبخاصة يوم عاشوراء. فدماء الشهداء الطاهرة تضخّ طاقة تعبوية هائلة في النفوس حيث إن المنبر يمارس دوره في الفضح والتوعية والتثوير السياسي باستناده إلى الحسين إماماً عادلاً ورمزاً لمواجهة الظلم وعلامة وضّاءة على ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لإصلاح الأمّة. من هنا فإن لعاشوراء دوراً عظيماً في عطف مسار الثورة نحو الانتصار وإحياء الثقافة الشيعية في البلاد:

على مدى قرون متمادية ـ وفي القرون الأخيرة بالتحديد ـ تبلورت حركة الإحياء الديني وتنامت ببركة الحسين بن علي عليهما‌السلام وقدرة مجالس العزاء... وقد توافر للثورة هذا الزخم العظيم ـ الكامن في قضية الحسين عليه‌السلام المقدسة ـ فامتد الفكر الثوري إلى كل مكان لينهض الجميع ويسجّل حضوره في الساحة[٣١].

فيجدر بالمبلّغين أن يعرفوا قدر هذه النعمة الإلهية ويبتعثوا ما تضمه من مضامين لإرشاد المجتمع، إذ لا نجد في أي ديانة وشريعة أخرى ما يكتنزه المذهب الشيعي من محتوى ثر للتبليغ

الديني. فثمة ضرورة لبعث هذه النعمة الإلهية التي تنزلت علينا ببركة النهضة المقدسة لسيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام:

إن نعمة مجالس العزاء ومحرّم وعاشوراء لمجتمعنا الشيعي.... هذه النعمة العظيمة وطّدت الصلة بين القلوب منبع الإيمان الإسلامي المتدفّق، وقادت إلى مواقف طوال التاريخ جعلت الحكّام الطغاة يخشون عاشوراء وقبر الإمام الحسين عليه السلام. وقد بدأ الخوف ينتاب الحكام منذ عصر الخلافة الأموية ومازال حتى يومنا هذا. وقد رأيتم نموذجاً له إبّان ثورتنا. فكان النظام البهلوي الرجعي والكافر والفاسق والفاسد إذا دخل شهر محرّم وجد نفسه فاقداً القدرة على الحركة... وهذا ما أكدته التقارير التي سجّلت في عهد ذلك النظام البغيض، وفيها إشارات وتصريحات تبرهن على أن أجهزة النظام كانت تتخبط في مواجهتها للثورة أيام محرّم.

وقد عرف جيداً إمامنا العظيم رضوان الله تعالى عليه ـ هذا الرجل الحكيم والواعي والعارف بالدين والدنيا والإنسان ـ كيف يحيي ويبتعث واقعة «عاشوراء» لتحقيق أهداف الإمام الحسين عليه السلام. فقد اعتبر شهر محرّم الشهر الذي انتصر فيه الدم على السيف، انطلق في نهضته من هذه الحقيقة ليقود الدم إلى الانتصار على السيف ببركة شهر محرّم. هذا أنموذج واحد عاينتموه بأنفسكم. فيجب إحياء هذه الذكرى من قبل الناس والعلماء[٣٢].

لا يجوز تضييع هذه النعمة والاكتفاء بإحيائها كسُنّة فقط. فأيام المصيبة تتيح فرصة نادرة وثمينة جداً لرفد المجتمع بالوعي الفكري والديني والاجتماعي.. فرصة لا نجد في أي مذهب أو دين آخر أنها أتيحت لمبلّغيه. فينبغي أن نعرف قدرها ونخطط ببصيرة لإحيائها وتفعيلها.

فعلى المؤسسة التبليغية للحوزة أن تستعدّ جيداً لهذه الأيام الخاصة فتجهّز المبلغين بالمعلومات اللازمة وتمدّهم بالإمكانات التي من شأنها تنشيط دورهم عندما توفدهم إلى عمق المجتمع وقلبه، فينهضوا إلى مستوى احتياجاته واستفهاماته الدينية، ثم يحفظوا إيمانه ويحرسوه.

لكن مما يؤسف له أننا لم نشاهد حتى الآن مبادرة مناسبة في هذا الصعيد. فما برح التبليغ الديني ـ كما في الأيام السالفة ـ في مواسم التبليغ خاضعاً للمزاج الشخصي والمواقف الفردية. ومن جهته لا يحصل المبلّغ على دعم معنوي من جانب الجهات التبليغية، فهو في تماسه مع الجماهير وعندما يتحدث عن الدين والأخلاق والمعارف ويسعى إلى إرشادهم لا يعتمد إلّا على تصوراته الشخصية التي تمكّنه من مطابقة خطابه مع الاحتياجات القائمة، دون أي دعم في هذا المضمار:

لتُشكَّل اجتماعات مدروسة في أحد هذين الشهرين [محرّم وصفر] في الأقل من المناسب عقد جلسات قبل دخول شهر محرّم للتخطيط للموضوعات الضرورية المفترض طرحها في شهري محرّم وصفر بلحاظ الظروف الزمانية والأحداث والمشكلات

القائمة، بعد ذلك ترفع إلى الأمانة العامة أو الجهة العليا، لتبلّغ بدورها الجميع بأن الأولوية في العشرة الأولى ـ مثلاً ـ من محرّم لهذا العام للموضوع الفلاني[٣٣].

من الخطوات التي يمكن اتخاذها في هذا الاتجاه، إقامة ندوات جادة قبل أيام التبليغ على أن يشارك فيها ذوو الخبرة والتجربة في المسائل الاجتماعية والتبليغية لتحديد الموضوعات المهمة ومصادرها أيضاً. وبهذا تتوافر للمبلغ روافد موضوعات مواكبة للظروف الزمانية والمكانية فتغدو حركته في الآفاق المفتوحة وفي مستوى المجتمع المخاطَب:

لنفرض أن شهر محرّم على الأبواب... تتطوع مجموعة من الإخوة الأفاضل لعقد ندوة... شكّلوا ـ بعد تأمل ـ عدة لجان... ولتكن نتيجة الندوة ما تراه هذه المجموعة، فعلى سبيل المثال تقرر ضرورة طرح الموضوعات الخمسة عشر أو العشرين المعيّنة التي تنطوي على إجابات عن استفهامات الناس. بعدها تتناقش مجموعة أخرى بشأن تلك الموضوعات وتدرسها بدقّة، وإذا تم هذا العمل، فأحسب أنه سيؤسِّس لحركة منسجمة[٣٤].

مجانبة الخرافات

لا ينبغي تحشيد الخرافات في التبليغ الديني وتشويه الحق بالأباطيل. وحذار من أن ينقل إلى الناس الأساطير والأقوال المشكوك فيها والرويات غير المسندة، بدلاً من الدين الحق.

فالمبلغ لا يحطّ من قدر خطابه ومكانته بتضمينه الأساطير فحسب، بل يسيء إلى الدين، فيقدّم صورة مزيّفة ومشوّهة لدين الحكمة والمنطق ويهيئ أرضية خصبة للتشكيك في الحقائق الأساسية للدين وإساءة الظن بها.

على المبلغ أن لا يعتبر متانة كلامه تكمن في عرض العجائب والغرائب، فحتى لو فرضنا أن هذا النحو من الكلام يجتذب أنظار وأسماع العقلاء اليوم، لكن من المؤكد أنه لن يجتذب قلوبهم أبداً:

ليس من الصحيح أن يرتقي أحدهم أعواد المنبر ليتفوّه بكلمات خاوية ويتطرق إلى موضوعات تافهة، لا تقوي الإيمان بل تضعفه. وأقول لكم بكل أسف إن هذه الحالات تقع أحياناً. وهذا يحول دون بلوغنا الأهداف والمنافع المتوخاة من عقد هذه الجلسات. فيلاحظ في بعض الأحيان أن الخطيب ينقل في أحد المجالس موضوعاً ليس له أساس ـ عقلي أو نقلي ـ من الصحة، ويفضي في الوقت ذاته إلى تشويه وعي المستمع المستبصر وصاحب المنطق والاستدلال... استمع أحدهم إلى حديث ما... صدق المستمع وكتبه في كتاب وقد وضع على الرف. ترى ما الذي يدفعني وإياكم لطرح هذا الموضوع الذي لا يمكن التدليل عليه في حشد كبير يضم أفراداً واعين ومتبصرين؟ فهل على المرء أن يتحدث بأي شيء من أي كتاب نقله؟

يجب أن يزيل كلامكم الشبهة لا أن يكرِّسها. فبعضهم يعتلي المنبر دون الالتفات إلى هذه المسؤولية الخطيرة، ليضاعف من

الإبهامات والتساؤلات المستقرة في الأذهان، لا ليمحوها[٣٥]

وتترسخ أهمية ذلك في مآتم أهل البيت عليهم السلام. فلا ينبغي للخطيب والواعظ أن يظنا أن استدرار دموع الحاضرين واستصراخهم هو الهدف الأساس الذي ينبغي بلوغه بأي ثمن. فليعلما أن الحقيقة أغلى من كل شيء وليتفاديا الدفاع عنها عبر الأكاذيب ونسج الأساطير بذريعة أنهم يستهدفون ذكر سيدالشهداء عليه السلام ومصائبه:

فلتعرض واقعة عاشوراء ـ التي تعدّ أمّ المعارف في باب الجهاد والقتال في سبيل الله والركيزة الأساس لثورتنا ـ بصورتها المشرقة الوضاءة وبحقائقها الناصعة مع تحاشي أي إضافة لا أساس لها من الواقع قد تصدر أحياناً بشكل خطابة أو كتابة. فذكرى عاشوراء ليست هزلاً. ولا ينبغي ضمّ الخرافات إلى هذه القضية العظيمة وبعد ذلك ننتظر أن نترك أثراً إيجابياً[٣٦].

ومما يحزّ في النفس أن عاشوراء لم تختلط في محافلنا وكتاباتنا بالخرافات والأكاذيب فحسب، بل أضيفت إليها افتراءات لا تنسجم مع روحها. فقد نظمت القصائد الشعرية وكتبت القطع النثرية ونسجت القصص التي لا تتناسب مع قيم نهضة الإمام الحسين عليه السلام وهو ما يشوّه وعي المخاطَبين للفضائل والمكارم الإنسانية العظيمة مثل الشجاعة وشدة البأس والإيثار ورفض الظلم وأداء التكليف و...

المسألة الأولى هي تنقية الواقعة من الافتراءات المضرّة... حتى ما جاء في بعض الكتب ويتناقض مع مفهوم النهضة الحسينية ومعناها. فيجب تشخيص كل هذا وعزله. وعليه فالمسألة الأولى تتمثل في تصفية الواقعة التي نعرضها ممزوجة بالشعر أو النثر أو بطريقة التعزية. وهذا عمل سليم. إذا كان بياننا لعاشوراء بما يتناقض ومفهوم «ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة»، فإن هذا الفعل لن يخدم القضية الحسينية وواقعة عاشوراء[٣٧].

يجب على المبلغ تهذيب أقواله وخطاباته من الخرافة والتحريف، وعليه أيضاً أن يعاين ممارسات المآتم بدقة، فلا يبادر إلى أفعال تتنافى وشؤون المروءة والديانة أو المصلحة الاجتماعية ولا يحثّ الآخرين عليها، وفوق ذلك عليه أن يمنع القيام بأي ممارسة سلبية.

يجب أن تكون مجالس العزاء الحسيني مركبة من العاطفة والحماسة والمعرفة. ولابدّ أن يكون عرض الأبعاد العاطفية والحماسية لهذه المصيبة قادراً حتى على كسب تعاطف الأجنبي الذي لم يسمع بالواقعة من قبل فيرقّ قلبه وتحزن نفسه.

وقد أضرّت بعض الممارسات غير العقلانية بصورة التشيّع، وبدلاً من أن تجتذب القلوب نحو الشعائر الحسينية نفّرتها منها. وينبغي للواعظ والخطيب وكل المشاركين في مراسم العزاء أن يلتفتوا إلى أن أنظار الملايين من الأجانب والمواطنين متوجهة إليهم. فالتشيّع لا يتمثل بأقلية دينية مغمورة لا يهتم بها أحد. فقد أضحت القيم والشعائر الشيعية في إيران الإسلامية أمام

مرأى العالم كافّة. من هنا فإن أي ممارسة خاطئة من شأنها أن تشوّه صورة التشيّع وعاشوراء في أذهان الرأي العام العالمي.

على العالِم والخطيب والواعظ الانتباه إلى أن المسألة لا تتمثل اليوم في ماهية الاستدلالات الفقهية المتصلة بالتطبير ـ مثلاً ـ لتدخل المسألة في مدارات النقاش، ثم تحشيد الأدلة التي تجيز هذه الممارسة أو تحرمها أو التي تعدها إضراراً بالنفس أو تنفي ضررها، وهكذا...

إن هذه البحوث الفقهية التقليدية يجب أن تجري في المدرسة، لكن الكلام في الظروف الراهنة يتركز على مصلحة التشيّع والمجتمع الشيعي الثوري. تُرى ما هي الصورة التي تنطبع للتطبير ـ وإن حدث في مآتم سيد الشهداء عليه السلام ـ في أذهان الأجانب؟ هل سيتعاطفون مع التشيّع المظلوم وعاشوراء المظلومة أم سيبتعدون عنهما؟ وقد أشار سماحة قائد الثورة في خطاب تحذيريّ، إلى الانطباعات وردود الفعل السلبية التي تولدها الممارسات المنافية لشؤون مجالس العزاء، بقوله:

إن دعوة الإمام رضوان الله عليه إلى إقامة مجالس العزاء تعني الجلوس فيها وقراءة التعزية والبكاء ولطم الرأس والصدر والمشاركة في المسيرات، وهي الأمور التي تعزّز التعاطف مع أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أمور ممتازة. وثمة أفعال مؤداها إبعاد الناس عن الدين. وأحسّ بالأسف لرواج بعض الأفعال في مجتمعنا خلال السنوات الأربع الأخيرة. يقومون بأعمال تثير استفهامات وتشكيكات عند كل من يراها. ففي الماضي البعيد، كانت فئة من عوام الناس تضع في أبدانها «قفلاً» في أيام العزاء، وفي حينها استنكر العلماء والأفاضل ذلك العمل حتى اضمحل، لكنه عاد هذه الأيام... والتطبير كذلك... إنه عمل خاطئ؛ تعمد مجموعة من الأشخاص إلى ضرب رؤوسها بالسيوف فتجري دماؤهم، ترى ما هو الهدف؟ وأين هو العزاء في هذا العمل؟

وفي الآونة الأخيرة ظهرت بدعة عجيبة وغريبة في الزيارات... فهل سمعتم أن أحد علمائنا أو أحد أئمتنا عليهم السلام كان يزحف على الأرض من بداية الصحن حتى القبر؟... هناك عدد من الأفراد عندما يصلون الصحن الطاهر لعلي بن موسى الرضا عليه الصلاة والسلام يزحفون زهاء مئتي متر باتجاه القبر. فهل هذا عمل صحيح؟ كلا، إنه عمل خاطئ وفيه إهانة للدين والزيارة. من الذي روّج هذه الممارسات بين الناس؟ لعله من عمل الأعداء.

نوّروا أذهان الناس بهذه الأفكار. فالإسلام دين المنطق، والتفسير الشيعي للإسلام هو الأسدّ منطقاً من غيره. فعلماء الكلام الشيعة، كان كلّ واحد منهم كالشمس في زمانه... فهل هذا هو التشيع، أم تلك الأمور التي ليس فقط تفتقد للاستدلال بل هي أشبه شيء بالخرافة؟ لماذا أدخلوا هذه الأمور في الدين؟ إنه خطر عظيم يتهدد عالَم الدين والمعارف الدينية، فعلى حرّاس العقيدة أن يأخذوا حِذرهم[٣٨].

الهجرة التبليغية

تشتد الاحتياجات التبليغية في داخل البلد وخارجه. ويزدحم المشتاقون للخطاب الديني على أبواب الحوزة مطالبين بالمبلّغين. وللأسف، لا تجد هذه الطلبات استجابة في أغلب الأحيان. وليس خافياً حجم الأضرار التي يتركها فراغ الساحة ـ أينما كانت ـ من المبلغين، فيما تظل دون جواب الاستفهامات حول أبسط الأحكام الدينية وتلك المعقدة المرتبطة بالمعضلات الفكرية، الأمر الذي يسوق المجتمع الديني ـ في داخل البلد أو خارجه ـ إلى الحيرة والفوضى:

يأتون من مختلف البلدان، يطلبون مبلغين، لكننا نفتقر إلى المبلغين. ويأتون من المدن الإيرانية يطالبون بمبلغين، لكن ليس لدينا مبلّغ. يريدون إماماً للجمعة، فلا نستطيع تأمين ذلك... رغم وجود الحوزة العظيمة. هناك مناطق تبقى أحياناً ستة أشهر أو سنة من دون إمام جمعة! ترى هل طالبناهم بالذهاب إلى غابات الأمازون للتبليغ؟ السادة يمتنعون عن الذهاب، وإذا سألناهم عن السبب، أجابوا بأنهم يريدون مواصلة دراستهم! إخوتي؛ لست راضياً عن هذا الموقف. قولوا ما شئتم. أقسم بالله إني لا أعتبر هذا الموقف دينياً[٣٩].

على طلبة الحوزة أن يدركوا مكانة التبليغ وإرشاد الخلق فلا يقللوا من شأنهما، وأن يعتبروا حضورهم في الحوزة وارتداء الزي العلمائي هو من أجل التبليغ، فليبادروا إلى الحضور في الأماكن التي تعاني من نقص في المبلغين:

لا يصح القول: إن الشخص الفلاني درس «المكاسب» و«الكفاية» وصار فاضلاً، فمن غير المناسب أن يذهب للتبليغ في أوساط العشاير؟ ترى لماذا أتعب نفسه ودرس «الكفاية» و«المكاسب»؟ إن جميع هذه الدروس مقدمة لاجتذاب الناس للإسلام وحثّهم على الالتزام بالدين فـ«لئن يهدي الله بك رجلاً خير مما طلعت عليه الشمس»[٤٠].

ولا ينبغي لأساتذة الحوزة اتخاذ التدريس ذريعة لترك التبليغ:

لعل مصداق الهجرة لطلاب العلوم الدينية والأفاضل المستقرين في الحوزات، يتمثل في الهجرة إلى مناطق العالم الإسلامي للتبليغ فيها. وبوسع بعض الطلاب الإقامة في مدينة وإرشاد أهلها. إذ لا تترتب فائدة على البقاء في قم بالنسبة للمئات ـ من الطلاب ـ سوى أنهم يلقون بعض الدروس على عشرين أو ثلاثين طالباً، وهو ما يقوم به غيرهم[٤١].

ويكشف تاريخ الحوزات عن كون الهجرة من أجل التبليغ أو الدرس التي قام بها كثير من عظماء الحوزة الماضين، أفضت إلى تحوّلات اجتماعية عظيمة وواسعة. فهجرتهم أنشأت قواعد مهمة للفكر الشيعي وعززت مكانة المجتمعات الشيعية القائمة. وربما نستطيع القول إن تكوّن المجتمعات الشيعية في إيران والعراق ولبنان وبقية المناطق الأخرى مدين لهجرات علماء الدين:

على مسؤولي الحوزة العلمية وأكابرها وأعيانها أن يكونوا البادئين في سلوك هذا الطريق. وأحياناً تترتب على وجود بعض ـ العلماء ـ الكبار في مدن أخرى، منفعة أكبر

بكثير من تلك الحاصلة من بقائهم في مدينة قم. وثمة شواهد من الواقع على ذلك. فمثلاً هاجر المرحوم آية الله الميلاني رضوان الله تعالى عليه من كربلاء ـ وهي قريبة من النجف، وكان أمثاله يقيمون في كربلاء والنجف ـ إلى مشهد ليؤسس فيها حوزة علمية كبيرة... وحقاً، كان وجود المرحوم آية الله البهبهاني بركة إلهية لحوزة مشهد. وكان بمقدوره أن يظل في كربلاء إلى نهاية عمره... لكنه جاء إلى مشهد وكان منشأً للبركة فيها[٤٢].

وتنسحب هذه الحقيقة على مستوى الباحثين في الحوزة إذ تساعد هجرتهم إلى المناطق (التي تحتاج إليهم) وإقامتهم المؤقتة فيها، على تلبية قسط من الحاجة إلى التبليغ. والإقامة في منطقة ما عدة شهور، أو حتى عدة سنوات، لا تضرّ بالدراسة، كما يمكن تكثيف الجهد الدراسي للتعويض عمّا فات. فالدراسة ليست مسوّغاً إذن لترك التبليغ:

ليس هناك ما يمنع الطالب الشاب على ترك الحوزة والدرس لمدّة سنة للتبليغ في منطقة معيّنة ثم يعود إلى الحوزة ليحلّ محلّه فرد آخر. وهذا لا يسفر عن خسارة دراسية للطالب. فسنة واحدة لا تضرّ بالطالب الذي أنهى المقدمات وتقدّم نسبياً في الفقه والأصول والمسائل الاستدلالية[٤٣].

فلا ينبغي تعطيل الهجرة التبليغية بذريعة شحّة الإمكانات وضآلتها في المنطقة، وبفرض شروط صعبة مسبقة كتوفير السيارة الفارهة والوسائل الترفيهية. فالهجرة التبليغية كالجهاد، تستدعي تحمل المشاقّ ومصاعب الغربة والإعراض عن الوطن وشرح الصدر لحلّ عشرات المشكلات العائلية وغيرها:

هناك قرى في بلادنا تفتقر لعالم الدين، فعلى علماء الدين أن يتوجهوا إليها دون أي شروط مسبقة. بعضهم يقول لنا: يجب توفير كذا إمكانات وكذا امتيازات كيما نذهب. أنا لا أنفي الحاجة للأمور المادية والظروف الحياتية ـ المناسبة ـ لكن لا يجب فرض ذلك كشروط مسبقة. فلينطلقوا ويعقدوا العزم[٤٤].

على الحوزات الشيعية معاينة تجربة التبشير المسيحي، فلقد انطلق المبشرون المسيحيون ـ على أمل نشر المسيحية ـ نحو مناطق العالم كافّة سواء كانت صحارى إفريقيا القاحلة والمحرقة، أو غاباتها التي تقطنها قبائل متوحشة، أو المناطق القطبية المنجمدة. فتاريخ التبشير المسيحي مليء بالعبر والدروس. ولما كانت الحوزات الشيعية أقرب إلى شمس الحقيقة ـ من غيرها ـ فهي مدعوة لبذل مجهودات أضخم من الآخرين في سبيل إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

أكرر للسادة العلماء الإشارة إلى أننا نعرف قساوسة أعرضوا عن مدنهم الراقية وحياتهم المرفهة في أوروبا، وقطعوا آلاف الكيلومترات ليبلّغوا المسيحية في أميركا اللاتينية أو إفريقيا أو غابات الأمازون أو كينيا وقد أمضوا سنوات من عمرهم هناك. وقد وصلوا في عهد الاستعمار إلى مناطق لم تطأها أقدام المستعمرين. فذهبوا إلى تلك المناطق

حاملين الصليب معهم ومروّجين لأفكارهم الخرافية في أوساط السكان المحليين الذين كان بعضهم مسلماً. هكذا ينشطون في باطلهم. فلماذا لا ننشط نحن في حقنا ونعقد العزم على نشره؟[٤٥].

التبليغ خارج البلد

قادت الأزمات الأخلاقية والمعنوية التي شهدها العالم وظهور الثورة الإسلامية إلى توجّه جديد نحو الدين الإسلامي. فالأذهان المضطربة التي أرهقتها مادية الحضارة الغربية استفاقت اليوم بالنظر إلى الإسلام بوصفه منهجاً لديه ما يعالج به أزمات البشر. ومن هنا اشتدت الحاجة إلى مبلغين عارفين بالدين يتوجهون إلى مختلف مجتمعات العالم. وإذا لم تتم المبادرة الجازمة لإرواء النفوس المتعطشة للإسلام الأصيل فإن أولياء الشياطين سيبادرون حتماً لتضليل تلك النفوس ثم إروائها بشكل كاذب:

الإسلام مطروح اليوم بصفته منهجاً للحياة يقدم إجابات على إشكالات الحياة وطريقاً للتحرر من مشكلات عالم القرنين الجاري والمقبل. هكذا ينظرون إلى الإسلام، ولذلك يعتنقونه. فالإسلام اليوم ينتشر بسرعة في الدول الغربية وبخاصة الولايات المتحدة والدول الأوروبية الكبرى. وليس هذا زعم خطيب سمع شيئاً وصعد ليتحدث به. لديّ أرقام دقيقة. فكثير من الأفراد في البلدان المسيحية الغربية ممن اعتنقوا الإسلام، لديهم أسئلة، ويريدون معرفة الإسلام، ويريدون أن يستمعوا شيئاً عن الإسلام... يريدون أن يتعرفوا على حقيقة الإسلام الذي استطاع تشكيل حكومة ووقف بوجه القوى الكبرى، ولم يخش أحداً وباستطاعته أن يدير العالم، وهو يسجّل حضوراً في صميم الحياة الإنسانية وقلبها، ولا يعاني مما تعاني الدول الأخرى من ضعف. يريدون معرفة هذا الدين. فعلى عاتق من تقع مسؤولية توضيح هذه الحقائق؟ هل نجلس ليفعل الأميون ذلك؟ هل نقعد، كيما يتوجه إليهم من لا يعرف شيئاً عن الإسلام؟ هل نقعد، ليذهب إليهم من كوّن معرفته عن الإسلام بما سمعه من هذا وذاك؟[٤٦].

فيما يتعلّق بالتبليغ في خارج البلد من الضروري مراعاة المسائل العامة التي ذكرناها، علاوة على المسائل الخاصة التي نشير فيما يأتي إلى بعضها:

١ ـ معرفة لغة البلد الأجنبي وثقافته

يتعين على المبلغ في بلد أجنبي أن تكون لديه إحاطة كاملة بلغة سكانه، ومعرفة عميقة بثقافتهم، ليصار إلى سهولة التواصل مع أفراد بيئته وإلى مواكبة الرؤى والأفكار والأنماط الثقافية للمجتمع، ثم يصوغ خطابه عبر الحوار أو النشر أو... وكثيراً ما كان للتبليغ الديني المجرد عن المعرفة بثقافة المجتمع المخاطَب مردودات سلبية طالت الممارسة التبليغية ذاتها. فمثلاً يفضي تجاهل مكانة مصطلح ما في ثقافة المخاطَب إلى انصرافه عن سماع مجمل الخطاب،

▣ يتعين على إمام الجمعة أن يطوّر مستوى خطبه على الدوام. فالمطلوب أن نعرض للناس خطباً جديدة وحيوية. فإن ما أوصل الشعب إلى مستوى تحمّل «أمانة» الثورة الإسلامية هو الخطاب الديني المتجدد والفهم الصحيح والجديد للإسلام.

«الإمام الخامنئي»

وربما إلى اتخاذ رد فعل سلبي حيال أي تبليغ مماثل. كما أن التشديد على موضوع معين أو تجاهل قيمة ثقافية، يسوق أحياناً المستمعين أو القرّاء إلى التشكيك في أصالة الخطاب وحقانيته أو إلى الإعراض عنه جملة وتفصيلاً.

في أي حال، كانت هذه نماذج لأخطاء عديدة وقعت فيها المؤسسة التبليغية في خارج البلد. ولتفادي ذلك، يكون المبلغ متحلياً بالخصائص العامة للمبلغ الفاعل، إضافة إلى الاحاطة الكاملة بلغة المجتمع المخاطَب وثقافته. وليتحاش التدرب على ممارسة التبليغ في وسط المجتمع، فالصحيح أن يحترف التبليغ قبل أن يتماس مع المجتمع. وإلّا فهو كمن لا يجيد السباحة ومع ذلك يحاول أن يسبح في محيط موّاج، وهذا غارق لا محالة هو ومن تشبث بهم. وللأسف نلاحظ مصاديق عديدة لهذه الأخطاء، الأمر الذي يشكل خطراً جدياً على المؤسسة التبليغية في خارج البلد، كون الاتصال الأول مسؤول بالدرجة الأولى عن صياغة وعي المجتمع المخاطَب. وليكن معلوماً أن تجسير العلاقة مع شعوب العالم يجب أن لا يخضع لمنهجية التجربة والخطأ. فغالباً ما تؤدّي هذه المنهجية إلى رسم صورة مزيفة وسيئة للمبلّغ الشيعي في الأذهان، تصعب إزالته بسرعة حيث تبقى أمداً طويلاً ـ في الذهن ـ لتحول دون التفاعل حتى مع المبلغين الممتازين:

يجب توافر أفراد مستعدين لهذا العمل؛ أي من الذين أنهوا دراساتهم وشاركوا في دورة تأهيلية واطلعوا على طباع الأجانب وسلوكياتهم وأتقنوا لغتهم، كيما يتواصلوا معهم وينهضوا إلى مستوى البيئة التي يخاطبونها[٤٧].

٢ ـ المثابرة وتحمل المشاقّ

ليس التبليغ في خارج البلد ترفيهاً أو سياحة لتمضية أوقات الفراغ، بل هو ممارسة شاقّة لا تنهض بها سوى النفوس الصابرة والهمم العالية، ولا مجال فيه لحب الدعة والراحة والترف.

ولا يتيسر للمبلغ نشر الفكر الديني إلّا ببُعد الهمة والحركة الجادّة. فبالمثابرة وقوة العزم وصل المبشرون المسيحيون إلى غاياتهم. وقبلهم نشر المبلغون المسلمون الإسلام في الهند وجنوب شرقي آسيا وإفريقيا وغيرها بالمثابرة

والعمل الدؤوب.

ولكي يكون للفكر الديني ـ الشيعي حضور ملموس حالي، لابدّ من نفوس كبيرة لا تخشى الصعاب ولا تؤثر فيها النكبات، وتحلو في عينها مرارة الغربة، ولا تتوانى أبداً في الدعوة إلى الإسلام ونشره ولو كلفها ذلك دموعاً ودماءً:

ترتسم في أذهان بعضهم صورة متلألئة للتبليغ في الخارج، فيتوهمون أن من يرسل للتبليغ في الخارج، يقيم في لندن أو باريس وفي عمارة راقية مع أناس مترفين.

اقرأوا سيرة بعض المبلغين المسيحيين الذين بذلوا مجهودات ضخمة وذهبوا إلى أعماق غابات إفريقيا وأميركا. بالطبع كان هدفهم استعمارياً، وليس إلهياً واقعياً... وقبلهم نشر المبلغون المسلمون الإسلام في أقاصي آسيا: الهند وشبه القارة الهندية التي تضم بنغلاديش والهند وباكستان وإندونيسيا وماليزيا والصين وتركستان الشرقية. هكذا انتشر الإسلام في أغلب هذه المناطق؛ إذ هاجر إليها بعض أولياء الله والعرفاء وأقاموا سنوات متمادية تحملوا خلالها مختلف ألوان الصعاب، حتى استشهد بعضم ومات بعض آخر جوعاً...[٤٨].

٣ ـ المراقبة المشدّدة

على المبلغ أن يحاسب نفسه أينما كان، فيقارن بين أقواله وأفعاله بدقّة عالية، وبكلمة أخرى يكون منسجماً مع كونه مبلّغاً للدين.

وهذا أصل عام، تشتد أهميته في حال المبلغ في الخارج. فهو من جهة يمثل سفير الدين في البلد الأجنبي، وهذا يعزز التزاماته. فإذا ارتكب المبلغ في داخل البلد خطأً أو ذنباً ـ وإن كان كبيراً ـ فإنه يتوارى خلف أخلاقيات وسلوكيات العلماء الصالحين ـ وهؤلاء ليسوا قلّة ـ الأمر الذي يمنع سوء الظن بالدين. لكن الحال يختلف في البلد الأجنبي حيث تتوجه أنظار المخاطَبين إلى المبلغ فقط، فتكون جميع أعماله برسم الديانة والعلماء كافّة، ومن ثم فإن خطأه أو ذنبه يعد دليلاً كافياً على سلب الدين حقّانيته.

وبناءً على هذا فإن ذنب المبلغ في البلد الأجنبي أوسع إضراراً، وهو يغلق الباب بوجه المبلغين الصالحين والكفوئين.

ومن جهة ثانية، يشكل بعد المسافة بين البلد الأجنبي ومركز الإسلام والولاية، خطراً على الضعفاء الذين تزداد معدلات ارتكابهم للذنوب والمعاصي كلما ابتعدوا عن المركز. فلابدّ للمبلغ أن يتصف بالحلم وسعة الصدر، وعليه أن يكثّف مراقبته لنفسه وسلوكه الأخلاقي، ليصون نفسه من المزالق:

إن بعد المسافة الذي يفصلكم عن البلد ومركز الثورة، مدعاة لتشديد التزكية الذاتية. ومع أنكم من أهل العلم والأخلاق والفضل والدين، لكن المرء عندما يبتعد عن مركز الإسلام والدين والشعائر الإسلامية، يحتاج إلى تكثيف مراقبته لنفسه والاهتمام بها. فمثلاً إذا كنتم هنا تكتفون بمقدار معين من الذكر والدعاء والنوافل وصلاة الليل و... فعليكم مضاعفته هناك، ليكون بوسعكم المحافظة على أنفسكم[٤٩].

الهوامش

١. من خطاب ألقي في ٥ / ١٢ / ١٣٧٠هـ.ش.
٢. من خطاب ألقي في ٥ / ١٢ / ١٣٧٠هـ ش.
٣. من خطاب ألقي في ٢٠ / ٤ / ١٣٧٠هـ.ش.
٤. من خطاب ألقي في ٥ / ٢ / ١٣٧٠هـ.ش.
٥. من خطاب ألقي في ٥ / ١٢ / ١٣٦١هـ.ش.
٦. من خطاب ألقي في ١٤ / ٩ / ١٣٧٤هـ. ش.
٧. من خطاب ألقي في ١٤ / ٩ / ١٣٧٤هـ. ش.
٨. من خطاب ألقي في ١٤ / ٩ / ١٣٧٤هـ. ش.
٩. من خطاب ألقي في ٥ / ٢ / ١٣٦١هـ. ش.
١٠. من خطاب ألقي في ٩ / ١ / ١٣٦٢هـ. ش.
١١. من خطاب ألقي في ١٧ / ١٢ / ١٣٦٣هـ. ش.
١٢. من خطاب ألقي في ٢٨ / ١١ / ١٣٧٠هـ. ش.
١٣. من خطاب ألقي في ٢٨ / ١١ / ١٣٧٠هـ. ش.
١٤. من خطاب ألقي في ١٤ / ٩ / ١٣٧٤هـ. ش.
١٥. من خطاب ألقي في ٦ / ٢ / ١٣٧٢هـ ش.
١٦. من خطاب ألقي في ١ / ٤ ١٣٦١هـ. ش.
١٧. من خطاب ألقي في ٥ / ١٢ / ١٣٦١هـ. ش.
١٨. من خطاب ألقي في ٣٠ / ١١ / ١٣٧٠هـ. ش.
١٩. من خطاب ألقي في ٣٠ / ١١ / ١٣٧٠هـ. ش.
٢٠. من خطاب ألقي في ١٨ / ٩ / ١٣٧٤هـ. ش.
٢١. من خطاب ألقي في ١ / ٧ / ١٣٧٢هـ. ش.
٢٢. من خطاب ألقي في ٥ / ١١ / ١٣٧٣هـ. ش.
٢٣. من خطاب ألقي في ٦ / ٢ / ١٣٧٣هـ. ش.
٢٤. من خطاب ألقي في ٦ / ٢ / ١٣٧٣هـ. ش.
٢٥. من خطاب ألقي في ١ / ٧ / ١٣٧٢هـ ش.
٢٦. من خطاب ألقي في ٥ / ١١ / ١٣٧٢هـ. ش.
٢٧. من خطاب ألقي في ٢٠ / ٤ / ١٣٧٠هـ. ش.
٢٨. من خطاب ألقي في ٢٩ / ١١ / ١٣٧١هـ. ش.
٢٩. من خطاب ألقي في ١٠ / ٦ / ١٣٦٧هـ. ش.
٣٠. من خطاب ألقي في ٥ / ١١ / ١٣٧٣هـ. ش.
٣١. من خطاب ألقي في ٢٠ / ٤ / ١٣٧٠هـ. ش.
٣٢. من خطاب ألقي في ١٧ / ٣ / ١٣٧٣هـ ش.
٣٣. من خطاب ألقي في ٢١ / ٦ / ١٣٦٤هـ ش.
٣٤. من خطاب ألقي في ٤ / ٢ / ١٣٦٥هـ. ش.
٣٥. من خطاب ألقي في ١٧ / ٣ / ١٣٧٣هـ. ش.
٣٦. من خطاب ألقي في ٢٠ / ٤ / ١٣٧٠هـ. ش.
٣٧. من خطاب ألقي في ١١ / ٥ / ١٣٦٨هـ. ش.
٣٨. من خطاب ألقي في ١٧ / ٣ / ١٣٧٣هـ. ش.
٣٩. من خطاب ألقي في ٣٠ / ١١ / ١٣٧٠هـ. ش.
٤٠. من خطاب ألقي في ١٥ / ٧ / ١٣٧١هـ. ش.
٤١. من خطاب ألقي في ٢١ / ٦ / ١٣٧٣هـ. ش.
٤٢. من خطاب ألقي في ٢١ / ٦ / ١٣٧٣هـ. ش.
٤٣. من خطاب ألقي في ٥ / ١١ / ١٣٧٣هـ. ش.
٤٤. من خطاب ألقي في ٢٠ / ٤ / ١٣٧٠هـ. ش.
٤٥. من خطاب ألقي في ١٥ / ٧ / ١٣٧١هـ. ش.
٤٦. من خطاب ألقي في ١٤ / ٦ / ١٣٧٤هـ. ش.
٤٧. من خطاب ألقي في ٢٩ / ٦ / ١٣٧١هـ. ش.
٤٨. من خطاب ألقي في ١٠ / ٦ / ١٣٧٦هـ. ش.
٤٩. من خطاب ألقي في ١٧ / ٢ / ١٣٧١هـ. ش.